الإهـــــــــداء

إلى روح الإمام الجليل :
ابن القيم الجوزية

غفر الله تعالى له ، وجعل الجنة مأواه

بقدر ما اجتهد ، وعلّم ، وفهم ، وأفهم

أسرار الإعجاز فى الطب النبوى

حسن ياسين

الراجى عفو ربه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم د / عبد العظيم ابراهيم المطعنى

القرآن العظيم معجزة جميع الرسل ، وليس معجزة محمد - وحده - ﷺ ، وعلى سائر المرسلين ، والمهمة الإيمانية العظمى التى يؤديها ثبوت إعجاز القرآن ثبوتيا يقينيًا : هى أن القرآن كلام الله وحده وليس كلام أحد سواه ، ليس كلام رسول ، ولا كلام ملائكة ، ولا كلام إنس ، ولا كلام جن . فكل الخلق عاجزون - يقينًا - عن الإتيان بمثل القرآن ، قل أو كثر . فقد تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله فقال: « قُلْ لئن اجْتَمَعَت الإنْسُ والْجِنُّ عَلَى أَن يأتُوْا بِمثْلِ هَذَا الْقُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، ولو كَان بَعْضهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيرًا » (الإسراء (٨٨)فهذا تحد صريح للثقلين الإنس والجن.

والملائكة داخلون فى المعجز عن الإتيان بمثل القرآن ، ولما كانت الملائكة عبادًا مكرمين ، لا يعصون الله ، ويفعلون ما يؤمرون لم يُدْخلهم الله فى هذا التحدى صراحة . ولكنه درجهم فى وصف العجز عن الإتيان بمثل القرآن فى سياق ضمنى شامل لهم ولغيرهم. ترى ذلك فى الآيتين الكريمتين من سورة هود (١٣ - ١٤) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ؟ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ ، وَأَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾ .

فإن قوله تعالى : ﴿ مِن دُونِ اللهِ ﴾ يشمل الملائكة ، والإنس والجن وهذه اشارة حكيمة إلى عجز الأصناف الثلاثة عن الإتيان بمثل القرآن ؛ فهو كلام الله قطعا،

بدليل عجز الخلق عن محاكاته مع توفر الدواعى عند من لم يؤمنوا به على المحاكاة لو استطاعوها .

فثبت بهذا العجز المستمر صدق رسالة خاتم النبيين ﷺ ، وثبت - كذلك - صحة رسالات الرسل المذكورين فى القرآن الأمين ، مثل :

آدم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، صلى الله عليهم وسلم ، وكذلك بقية الرسل الوارد ذكرهم فى القرآن الخاتم .

فصار القرآن بهذا معجزة الرســـل جميعا ، من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ .

* *

ومن أظهر وأعم وجوه إعجاز القرآن أنه كتاب كل عصر ، وكل مصر ، يظهر إعجازه قويا جليا أمام الثقافات المتجددة المُتطورة فكان إعجازه بلاغيا بيانيا ، وقت كانت البلاغة والبيان سمة العصر الذى نزل فيه ، ولُحْمة وسُدى الثقافة التى كانت هى السائدة فى ذلك العصر ، فأقر له معارضوه بالتفرد والتفوق على بلاغتهم وروعة بيانهم ، والسمو المطلق على ألوان ثقافاتهم ، وقد كانت بلاغتهم وبيانهم وثقافتهم القولية والفنية مضرب الأمثال ومحط الآمال . وأحس معارضوه بجلال نظمه ، وسحر بيانه ، وروعة معانيه . فنكصوا عن محاكاته لما رأوه فى مكان « الثريا » رفعة وكمالا ، ورأوا أنفسهم فى مكان « الثرى » انحطاطا وكلالا .

* * *

والإعجاز البلاغى هو الذى وقع به التحدى فى عصر النزول ، وقامت به لله الحجة ، وانقطعت به للمعاندين الأعذار ، وهو ، أى الاعجاز البلاغى ، يشمل كل كلمة ، وكل جملة ، وكل آية ، وكل سورة . فما من لفظ فى القرآن الا وهو موسوم بسمات الإعجاز ، مفردات وتراكيب ، وإن كان الإعجاز لا يظهر فى المفردات الا من خلال التراكيب التى هى لبنات فيه :

فإذا نظرنا - مثلا - إلى قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ الْموتُ إنْ تَرَكَ خَيْرًا الوَصِيَّةُ لِلوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ .. ﴾ البقرة (١٨٠) نجد فى هذا القول الكريم شرطين : الأول : « إذا حضر أحدكم الموت » والثانى :« إن ترك خيرًا .. » وأداة الشرط فى الأول « إذا » وفى الثانى : « إن » فلماذا لم تكن الأداة فى الأول: «إن» وفى الثانى « إذا » ؟

والجواب : أن الموت يقين لا ريب فيه ، فكل حى - سوى الله - سيموت لا محالة . فاقتضت البلاغة القرآنية إن تكون الأداة مع الموت هى « إذا » لأن « إذا » تفيد وقوع الشرط على وجـــه التحقيق ، أما مع « ترك الخير » فكانت الأداة هى : « إن» لأن ليس كل ميت يموت يترك مالاً أو ثروة . فما أكثر الذين يموتون فقراء فكانت الأداة « إن » لأنها تفيد الشك فى وقوع الشرط ، يقع أو لا يقع ، ولو جاءت « إذا » مع ترك الخير لكان المعنى أن كل من يموت يترك مالاً . وهذا غير صحيح . ولو جاءت « إن » مع الموت لكان المعنى أن بعض الناس يموت ، وبعضهم لا يموت أبدًا وهذا - كذلك - غير صحيح .

ولهذا جاء النظم القرآنى « إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا » واضعا كل أداة من « إذا » و « إن » فى موضعها لصون المعنى من الخلل والفساد .

ومثال آخر هو قوله تعالى حكاية عن أصحاب الكهف يقول بعضهم لبعض : ﴿إنَّهُم إن يَظْهَرُوا عَلَيكُمْ يَرجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ ، وَلَنْ تُفْلِحُوا إذًا أبَدًا ﴾ الكهف : (٢٠) .

تأمل هذه الآية تر فيها الرجم - أى الضرب حتى الموت - مقدما فى نظم الآية على « الإعادة فى ملة الكفر » واسأل نفسك : هل لهذا التقديم فى الرجم والتأخير فى الإعادة إلى ملة الكفر من داعٍ بلاغى اقتضاه ؟ أم أنهما - أى التقديم والتأخير - سواء فى حكم البلاغة ؟

إذا أحسنت التأمل ، وفتح الله عليك من فيض علمه ، أدركت أن تقديم «الرجم » على « الإعادة فى الكفر » واجب ، وأن « الإعادة فى الكفر » لو قدمتُ على « الرجم » ، لفسد المعنى · ولماذا ؟ لأن القرآن المعجز يتحدث عن شدة تمسك هؤلاء الفتية بالايمان بالله · وأنهم رتبوا نفى الفلاح عن أنفسهم على الإعادة فى ملة الكفر لا على « الرجم » لأن الرجم لو حدث لكان لهم فيه « الشهادة » فى سبيل الله · لذلك قدم الرجم على الإعادة لئلا يُفْهم أن الفتية يعدون القتل فى سبيل عقيدة التوحيد خسرانا وعدم فلاح · ولذلك آخَّر النظم المعجز الاعادة فى ملة الكفر للجمع بين السبب والمسبب، ولدفع إيهام أن الفتية يعدون القتل من أجل عقيدة « التوحيد » خسرانا وعدم فلاح ·

وهكذا نجد نظم القرآن كله مليئا بمثل هذه الأسرار ، ولولا خشية الإطالة لأطلنا فى سوق الأمثلة ·

وهذا ما أدركه العرب أرباب الفصاحة والبلاغة وسحر البيان · من إعجاز القرآن الحكيم ، ولم تحدثهم أنفسهم أن يحاكوه اعترافا منهم بإعجاز القرآن وعجز أنفسهم ·

* *

هذا الاعجاز البلاغى كان هو المناسب لعصر البلاغة وسحر البيان ، ولما كان القرآن « كتاب كل العصور » فإن إعجازه يتجدد بما يناسب كل عصر · وفى عصرنا الحاضر ، الذى أزد هرت فيه العلوم فى كل مجالات أطل علينا القرآن بإعجازات جديدة تواجه كل فرع من فروع العلم الحديث ، وتسمو فوق كل لون من ألوان الثقافة والمعرفة ليكون إعجاز القرآن منارة المؤمنين ، والحجة القاطعة لأعذار المعاندين، فى كل فترة ،وفى كل عصر،حتى يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها·

* * *

وهذا الكتاب ، الذى نشرته مكتبة وهبة - مشكورة - فى سلسلة « **لابد من دين الله لدنيا النَّاس** » قدَّم فيه الأستاذ حسن ياسين عبد القادر ، الصديق القديم الجديد ، والصحفى بجريدة الأهرام · قدَّم نماذج رائعة من الإعجاز الطبى فى «الكتاب العزيز » ثم أضاف إليه نماذج جديدة من الإعجاز فى « الحديث النبوى » وما إن أتاح لى المؤلف الاطلاع على « مخطوطة » هذا الكتاب ، حتى وجدتنى مشدوداً إلى كل سطر فيه ،واقترحت عليه وعلى الأستاذ القدوة وهبة حسن وهبة أن يمثل هذا العمل العدد رقم (١٣) من سلسلة « لابد من دين الله لدنيا الناس » فسارعا بالموافقة على التو ، وحمدت الله على هذا التوفيق بين الرغبات الثلاث ؛ خدمة لدين الله ودنيا الناس معًا · فى هذا الزمان « النكد » الذى تحالفت فيه قوى الباطل على دحر دين الله ، وتقويض دعائم الإيمان · واستجابة منا جميعا لنصرة وعد الله القائل ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحقُّ﴾ ·

ومن ميزات هذا العمل الطيب أن كل من يقرأه سيقف على ما فيه من صور الإعجاز الطبى فى الكتاب والسنة « لوضوح أسلوبه ، وجمال عرضه ، وصدق لهجته، ودسامة مادته » وجزى الله الجميع خيراً ، ونفع كل قارئ بما فيه · والحمد لله فى الأولى والآخرة ·

د · عبد العظيم إبراهيم المطعنى

المقـــــــدمة

نحمدك اللهم ، حمدا كثيرا ، طيباً مباركاً ، ملء السماء ، وملء الأرض وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد .

ونصلى ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، وســـلك طريقه ، واستضاء بالنور الذى أنزل معه ، ونسلم تسليما كثيرا .

وبعد

ففى أخريات عام ١٩٩٥ م ، أعلن الأزهر الشريف مسابقة ، كان موضوعها : الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم .

وقد أثار حماستى ، وانتباهى ، موضوع هذه المسابقة وهو : « الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم » رغم أنى لم أتشرف بالتقدم لهذه المسابقة ، ذلك أنى ظننت أن الأجل المحدد والمعلن للتقدم للمسابقة ربما لا يسعفنى لكى أوفى هذا الموضوع الجليل حقه من البحث والدراســـة الجديرة بعظمة وفخامة موضوع مثـل « الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم » غير أنى ظلـلت مدفوعا للكتابة فى « الإعجاز الطبى فى القرآن والسنة النبوية » وســـألت الله عز وجل أن يوفقنى فيما قصدت ، فاستعنت به سبحانه وتوكلت عليه .

من المعلوم أن الاعجاز القرآنى - إذا أطلق - ربما لا يعنى إلا الاعجاز البلاغى ، والبيانى ، والاسلوبى للكتاب الحكيم ، لأن هذا المفهوم للاعجاز

كان التحدى ، والتعجيز ، لأمة عرفت بسحر البيان ، وفصاحة القول . لأن هذه الأمة التى امتازت بهذه الخصائص الكلامية ، عجزت عن الإتيان بمثل سورة من محكم التنزيل .

وقد أثبت القرآن الكريم عليهم هذا العـــجز الأبدى ،يقول عز وجل : ﴿ قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١) .

أما الإعجاز الطبى - فى اعتقادى - فهو ما جاء فى الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، فيما يتعلق بالأطـعمة والأشربة ، على سبيل التحليل ، أو التحريم ، وعلم - بعد أربعة عشر قرنا من التنزيل الربانى - الفوائد الصحية لهذه الأطعمة من الطيبات (الحلال) والمضار الصحية أيضاً للخبائث (الحرام) .

وقد فضلت هذا التعريف للاعـــجاز الطبى ، قياسا على إعجاز قرآنى آخر ، وهو ما جاء فى القرآن الكريم من إخبار للمستقبل ، بمعنى الإخبار عن أحداث قبل وقوعها مثل إخبار القرآن الكريم عن انتصار الروم بعد هزيمتهم ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ آلم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ ، وقد حدث ما أخبر به القرآن . فقد دارت رحى الحرب بعد ذلك ، وانتصر الروم ، فى بضع سنين » (٢) .

ومن الاعجاز القرآنى المخبر عن المستقبل : « ما كان قبيل غزوة بدر الكبرى إذ يقول سبحانه : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ (٣) ، ولقد خرجت قريش بعيرها التى كانت فيها ثروة قريش كلـها ، وأراد المؤمنـون أن يترصدوها مضايقة

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٨ .

(٢) المعجزة الكبرى القرآن للامام محمد أبو زهرة .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٧ .

للكفار ، وأن يأخـذوها نظير ما أخرجوا المؤمنين من ديارهم وأموالهم بغير حق ، ولكن أبا سفيان التوى عن طريق يثرب ونجا بالعير ، فكانت المعركة ، فهم أرادوا ابتداء العير. ليست ذات الشوكة. وقد أخبرهم الله تعالى بالنتيجة قبل وقوعها . فقال تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ فكان هذا إخبارا بمغيب لم يكن إلا فى علم الله تعالى » (١) .

نقول إن الإعجاز القرآنى إذا كان فى أحد معانيه - الإخبار عن المستقبل فإن الاعجاز الطبى فى الكتاب والسنة ، هو الاخبار عن بعض الأطعمة والأشربة على سبيل التوجيه وبيان فوائدها الصحية . أو على سبيل المنع والتحريم وبيان مضارها . ثم يأتى المستقبل ليثبت بيان الفوائد والمضار الصحية لهذه الأطعمة والأشربة ، ونعنى بالمستقبل ما شهد به وأقره الطب الحديث - بعد أربعة عشر قرناً - من نزول القرآن الكريم - وبعد أن قوى هذا الطب ، واستوى على سوقه ، محققا الانتصارات والفتوحات العلمية ، فى مجالات الأغذية ، والعديد من الأوبئة والأمراض ، والأدوية المضادة لهذه الأوبئة والآفات .

كما أن المحرمات ، والمنهيات فى الإسلام . مثل الخمر والزنا ، وأكل الميتة . والدم المسفوح . ولحم الخنزير ، وغيرها . تعتبر من الطب الوقائى فى الإسلام .

ولا نزعم أن التحليل والتحريم بالنسبة للمأكولات ، والأشربة القصد الإسلامى منهما هو الحفاظ ، وصون الصحة البدنية للإنسان فقط . فليس كتاب الله تعالى ، ولا سنة نبيه عليه الصلاة والسلام من علوم الأحياء ، أو الصحة . أو علم الصيدلة والدواء . وإنما أنزل الله تعالى كتابه العزيز على رسوله محمد ﷺ ، لكى يكون ذلك الكتاب ، والسنة المطهرة منهاجا لحياة

---

(١) المصدر السابق بتصرف .

البشرية يقول تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾ (١) ، ويقول عز وجل : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ واحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ . فَإِنْ تَوَلَّوا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (٢) ، فكتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام هما النظام والمنهج والصراط المستقيم للحياة الأولى ، والآخرة للإنسان ، ولا بديل ولا نظير لهما ، إذا أرادت الإنسانية أن تحيا حياة تسودها العدالة السياسية والاجتماعية حياة قوامها الإخاء ، والطمأنينة والرحمة .

هذا هو القصد الأسمى . والغاية العليا لدين الله الحنيف وشريعته السماوية .

كما أن مفهوم العبادة لا يتحقق إلا بالطاعة ؛ طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ولا طاعة إلا بامتثال أوامر الشرع الحكيم واجتناب ما نهى عنه ، فالأمر الشرعى لم يكن إلا لسعادة الإنسان فى العاجلة والآجلة . والنهى الشرعى لم يكن إلا لمضرة المنهى عنه فى الأولى والآخرة : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ (٣) .

وقد كانت طاعة الله تعالى وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام فريضة على الإنسان لأن هذا الإنسان لم يخلق إلا لذلك ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِن رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٤) .

والعبادة فى مفهوم الإسلام وتصوره ليست مقصورة على ما فرض على

(١) سورة النساء : الآية ١٠٥ .
(٢) سورة المائدة : الآية ٤٩ .
(٣) سورة التوبة : الآية ١٠٩ .
(٤) سورة الذاريات : الآيات ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

المسلم من صلاة وصيام وحج وغيرها من العبادات والقربات . إنما معنى العبادة فى الإسلام أعمق من ذلك وأشمل . فالعبادة تشـــمل حياة المسلم كلها ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ ، وَمَمَاتِى للهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ ﴾[1] .

والعبادة بهذا المفهوم الجامع الكبير ، هى رسالة المسلم فى هذه الحياة ، وهى فى الوقت نفسه حقيقة الخلافة فى الأرض ، ولن يستطيع الإنسان أن يؤدى هذه الرسالة العظيمة . على الوجه الأكمل والصحيح . إلا إذا كان صحيح البنية والنفس . ينعم بعافية عضوية ونفسية ، لذلك كانت العافية من أجل النعم التى يمن الخالق سبحانه على عباده .

يقول المصطفى ﷺ : « من أصبح معافى فى بدنه ، آمنا فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا »[2] ، والرسول عليه الصلاة والسلام لعلمه بنعمة الصحة وأهميتها للإنسان جعلها فى الأولوية بعد نعمة اليقين فقال صلوات الله تعالى عليه : « أسألوا العفو والعافية فإنه ما أوتى أحد بعد يقين خيرا من معافاة »[3] .

فالصحة لا يعرف قدرها إلا المرضى ، أو كما قيل : « العافية تاج على رءوس الأصحاء لا يبصرها إلا المرضى » وقد استعاذ النبى الكريم عليه الصلاة والسلام من كل ما يقعد عن العبادة والجهاد فى سبيله تعالى فقال : « أعوذ بك من العجز والكسل، ومن الجبن والبخل، ومن غلبة الدين وقهر الرجال » .

ومن أجل مجتمع إسلامى يتمتع أفراده بصحة سليمة ، وعافية بدنية ونفسية دعا الإسلام الحنيف إلى اتباع صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، ففى اتباع هذا الصراط ، والعمل بمنهاجه السيادة ، والريادة للمسلمين

---

(١) سورة الأنعام : الآيات ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٢) الترمذى .
(٣) النسائى .

على من سواهم من المجتمعات ، كما سادوا من قبل أمما وقوميات عديدة حين طبقوا منهج لا إله إلا الله · فكانوا خير أمة أخرجت للناس كما وصفهم بذلك عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعرُوف وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ (١) .

كما أن العمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، يحقق للمسلمين الفوز والنجاح فى مجالات الحياة المختلفة - كما قلنا - فإن فى كتاب الله تعالى والسنة المطهرة التوجيه والوسيلة المثلى لمجتمع أفراده ينعمون بصحة حيدة ·

وقد بين الإسلام هذا التوجيه الصحى والغذائى والطبى واضعا قواعد للطب الوقائى ، وقواعد أخرى للطب الدوائى :

١ - **الطب الوقائئ** : وأغلب شروطه محصورة فيما نهى عنه الدين الحنيف : مثل تناول بعض الأطعمة والأشربة ، والانحراف ، والخروج عن النظام الإسلامى فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، وكذلك من الطب الوقائى فى الإسلام النهى عن الإسراف فى المأكل والمشرب · لأن الإسراف فى الطعام والشراب من العادات السيئة ، والضارة بصحة الإنسان ، فكان من عظمة الإسلام أن يحارب هذا الإسراف · قال تعالى : ﴿ وكُلُواَ وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢) .

والسياسة الإسلامية الحكيمة فى علم الغذاء ، والمحافظة ، على صحة الإنسان من العلل التى تفتك بهذه الطاقة الحيوية ، أشاد بها كمعجزة طبية كل من أوتى ذكاء وبصيرة وقادة · سواء كان مسلما أو غير مسلم · فهذا أحد كتاب الغرب روندساند مؤلف كتاب « الطب الاجتماعى » يقول : « إن تعاليم الإسلام الدينية تحسن الصحة ، فهى تدعو إلى القناعة وعدم الإسراف فى الأكل والشرب · والنظافة ، والاغتسال بالماء الطاهر والوضوء خمس مرات فى

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠ · (٢) سورة الأعراف : الآية ٣١ ·

اليوم ، قبل كل صلاة ، وإن الصلاة مجموعة من حركات رياضية · وأن الإسلام يعزل المرضى المصابين بأمراض معدية »[1] .

٢ – الطب الدوائى : إن إقرار الإسلام للطب الوقائى هدفه – كما قلنا – هو الحرص الأكيد على محاربة أسباب المرض ، ودوافعه قبل أن تقتل صحة المجتمع المسلم البدنية والنفسية ·

أما إذا حدث ما لم يكن فى الحسبان فكان المرض · فعندئذ للإسلام موقف عملى وواقعى هو النصح أو الأمر بدواءين :

احدهما الدواء أو العقار الذى يصنعه الإنسان ، ويثبت فاعليته ، بعد تجارب متعددة · أو بعد استخداماته علاجا لبعض الأمراض ·

والثانى : هو توجيهات الإسلام حيال كل مشكلة تواجه المسلم فى حياته ·

هذه التوجيهات التى تنحصر فى التمسك بالقيم الإيمانية · مثل قيمة الصبر والتوكل على الله تعالى · والتفويض · وعدم اليأس من رحمة الله تعالى وغيرها من معانى الاعتصام بحبل الله تعالى التى تشد من أزر المؤمن وتثبت قواه وكيانه ·

* *

(١) الوجيز فى الطب الإسلامى د · هشام إبراهيم الخطيب ·

أنواع الدواء بحسب الواقع

وإليك الدواءين بشيء من التفصيل :

١ - الدواء الطبيعي :« عن أسامة بن شريك قال : كنت عند النبى ﷺ ، وجاءت الأعراب فقالوا يا رسول الله ! انتداوى ؟ فقال : « نعم يا عباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل ، لم يضع داء ، إلا وضع له شفاء غير داء واحد » قالوا ما هو ؟ قال « الهرم[١] » ، وقال ﷺ : « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله »[٢] .

وتناول الدواء دفعا للمرض ، ما هو إلاسبب للشفاء ، ومن البدهى أن الإسلام حث على اتخاذ الأسباب فهى الوسيلة - بعد مشيئة الله تعالى - للبلوغ إلى الغايات ، ولا تعارض بين اللجوء إلى الأسباب ، والإيمان بالمشيئة أو الإرادة الآلهية ، وسيأتى الحديث فى هذه المسألة عند الكلام عن دور العدوى كناقل للأوبئة .

كما أن التعويل على الأسباب لا يناقض مبدأ التوكل أو التفويض أو الاعتماد على الله جل وعلا ، فمباشرة الأسباب ينبغى أن تكون مقرونة بالتوكل فتجاهل الأسباب ، أو إهمالها تواكل ، وليس توكلا « ومباشرة السبب وحدها والثقة الكاملة فى فاعلية السبب وحدها نوع من الشرك [٣] ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [٤] .

ويجدر بنا أن نعرض فقها ذكيا - فى هذا المقام - لإمام جليل وعالم فذ هو ابن القيم الجوزية الذى قال رحمه الله - مستعرضا الكلام فى أمر التداوى « وأنه لا ينافى دفع داء الجوع والعطش ، والحر بأضدادها ، بل لا يتم حقيقة

---

(١) مسند الإمام أحمد .
(٢) المصدر السابق .
(٣) مفتاح دار السعادة .
(٤) الشعراء : ٨٠ .

التوحيد إلا بمباشرة الأسباب ، التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها ، قدرا وشرعا وأن تعطيلها يقدح فى نفس التوكل ، كما يقدح فى الأمر والحكمة ، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى فى التوكل ، فإن تركها عجزاً ينافى التوكل ، الذى حقيقته اعتماد القلب على الله فى حصول ما ينفع العبد فى دينه ودنياه ، ولابد مع هذا الاعتمـــاد ، من مباشرة الأســباب ، وإلا كان معطلا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلا،ولا توكله عجزاً » [1] .

وقد اشترط الإسلام فى الدواء الذى يصنعه الإنسان أن يكون حلالاً لأن الحرام - فى التصور الإسلامى - لا يكون دواء بل هو داء يجب اجتنابه ولذلك يقول خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام : « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » [2] ذلك أن الحرام إنما حرم لأنه خبيث . والخبيث داء وليس دواء ، وهذا ما أجاب به النبى ﷺ ، عندما سئل عن الخمر يجعل فى الدواء . فقال : « إنها داء وليس دواء » [3] وسيأتى الحديث - إن شاء الله تعالى - عن مضار الخمر الصحية والنفسية .

والإمام ابن القيم رحمه الله بما منَّ الله تعالى عليه من بصيرة وحكمة وفقه فى الدين له فهم وعلم فى توجيه تحريم التداوى بالمحرم يقول رحمه الله تعالى : « . . . فإن فى إباحة التداوى به ، ولا سيما إذا كانت النفوس تميل إليه . ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة ، ولا سيما إذا عرفت النفوس أنه نافع لها . مزيل لأسقامها . جالب لشفائها ، فهذا أحب شىء إليها ، والشارع سد الذريعة إلى تناوله بكل ممكن ، ولا ريب أن بين سد الذريعة إلى تناوله وفتح الذريعة إلى تناوله . تناقضا وتعارضا » [4] .

٢ - **الدواء الإلهى** : إن المرض ابتلاء من الله تعالى لعباده :« والمريض

---

(١) الطب النبوى لابن القيم .
(٢) البخارى .
(٣) أبو داود والترمذى .
(٤) الطب النبوى .

كأى مبتلى مطالب - إسلاميا - بالصبر والتضرع بالدعاء إليه تعالى أن يمن الله تعالى عليه بالشفاء العاجل · هذا مع التداوى وتناول الدواء الطبيعى بصفة منتظمة وكما ينصحه به طبيبه · وعلى المريض الإقلاع عن الجزع · وعدم اليأس من رحمة الله تعالى ، لكى يؤجر ويثاب ، لأن النبـــى ﷺ يقول : « ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه »[1] .

* *

نسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا صوابا وخالصا لوجهه الكريم ، وأن يرزقنا أجر المجتهد إذا أصاب ، أو أخطأ ، كما نسأله عز وجل أن يرزقنا فهم كتابه العظيم ، وسنة نبيه وصفيه سيدنا محمد ﷺ ، ويرزقنا العمل بهما · إنه - سبحانه - سميع مجيب ·

* * *

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد ·